

## الفصل السادس

### الجماعة

تكلمنا في الفصل السابق عن الصبي المصري وعن حالته النفسية عموماً ومن أباه ككائن مستقل له مشاعره وإحساسه وانفعالاته التي يتعامل بها مع البيئة ومع الصبيان الآخرين تكلمنا عن تصرفاته وميوله وعن دوافعه النفسية لهذه التصرفات ثم عن أثر البيئة في تكوين شخصيته ومزاجه حرصنا على أن ننظر إليه كمفرد مستقل تربطه علاقات متنوعة بالأفراد غيره يلعب معهم وينشط فيما ينشطون فيه يستجيب للمؤثرات التي يستجيبون لها يؤثرون فيه ويؤثر فيهم.

ولكن الأفراد يكتفون جماعات ومجتمعات لها قواعد اجتماعية تربطها ببعضها وتربط الأفراد فيها ببعضهم. لهذه الجماعات شخصية اجتماعية تختلف باختلاف الحياة والبيئة وطريقة العيش وليست الجماعة مجموعة أفراد فقط وليس كل مجموعة من الأفراد يكتفون جماعة ذلك لان لها كيان ولها وحدة ولها معنى أكثر من كونها عدد من الأفراد أو الوحدات لا غير ولها نفسية تغاير نفسيات الأفراد فيها ولها عقلية خاصة بها تتشابه بعقليات الأفراد من بعض الوجوه وتختلف عنها كل الاختلاف من بعض الوجوه الأخرى مما أدى بالعلم أن يفرد لها باباً خاصاً ودراسة معينة تتميز من دراسة الفرد الانساني وذلك هو علم النفس الاجتماعي.

بالطبع تختلف الجماعات كما تختلف الأفراد فجماعة قوية منظمسة تعرف ما تريد وتعمل على بلوغ غايتها يخافها الأفراد فيها ويخشون بأسها ويعملون لها كل حساب ينشطون إذا نشطوا مرضاة لها وسعيها لخدمة أغراضها ويمتنعون عن النشاط لأنها تريدهم على أن يمتنعوا. الرأي العام فيها واضح

فوي ولا يجزو الفرد على الميث بهذا الرأي أو التثكر له وإنما يساير بعض النظر عن مزاجه الخاص. الأفراد فيها متساوون متساوون مؤدون الواجب عليهم بنقض النظر عن الخلافات الشخصية بينهم. مثل هذه الجماعة تقاليد خاصة مرعية وعادات اجتماعية يراها الأفراد ويحافظون عليها ويخشون مخالفتها أو اتباع طريق مضاد لهذه العادات والتقاليد.

وجماعة أخرى يستهين بها كل فرد لأنها في الواقع ليست جماعة وإنما هي مجموعة من الأفراد لا غير أو قطيع من الأدبيين اجتمعوا بحكم الجوار في المكان كأن يكون المكان سوقاً عامة أو منزلها يؤمه عدد من الناس. مثل هذا العدد من الناس لا يدخل في باب الجماعات فلا شخصية لهم ولا تقاليد أو عادات خاصة بهم تربطهم وتخلق منهم كائناً مهنوياً له مميزات وخصائمه التي يحترمها الفرد ويقدر لها خطرهما ثم ليس لهم أغراض معينة محددة اجتمعوا عليها يسعون لتحقيقها وليس لدى الأفراد فيها شعور أو إحساس نفاية يسعون اليها أو بمجهود يبذلونه ويتمونون فيه لتحقيق أمر من الأمور. كل فرد فيها يشعر بشخصيته مستقلة عن الجماعة وعن الأفراد الآخرين له غاياته وأغراضه وله نشاطه الذي يمارسه لتحقيق هذه الأغراض

للجماعة المنظمة أغراض تسعى اليها ولا يهم نوع الأغراض فقد تكون اقتصادية أو سياسية أو حربية أو مجرد التسليمية واللهو وإنما تنظم وتسمى لتحقيق غرض معين وهذه الأغراض أو هذا الغرض يقبله الأفراد فيها على أنه رغبتهم الخاصة كأفراد وهو ايتهم التي يهونها وحاجة ملحة عندهم يسعون وراء تحقيقها ولا يهم كيف ظهرت هذه الرغبة أو من اقترحها أو عبر عنها من الأفراد وإنما المهم أن الجماعة شعرت بها وأخذت تسعى إلى تحقيقها واجتمعت كلمة الأفراد فيها على هذا الأمر ولا يخلو الأمر من وجود بعض الأفراد المخالفين الذين لا يهمهم هذه الغاية في شيء وإنما لانهم نشأوا على حياة الجماعات المنظمة وترعرعوا في أحضانها تراهم

بمضطرون لنفس الغاية حبا في النشاط مع الجماعة وسعياً وراء تحقيق أغراض الأغلبية فيها ذلك لشهورهم بالواجب الاجتماعي وتغلغل هذا الشعور في نفوسهم ولا حساسهم بقيمة الجماعة وخطرها وإنما شيء لا يستهان به

وكما تضع الجماعة أغراضاً لها تتخير السبل لهذه الأغراض أيضاً ثم تتبع هذه السبل وكما أن الفرد يقبل الأغراض ويعمل على تحقيقها فهو يقبل السبل أيضاً ويعمل على اتباعها فلا يسير في ناحية والجماعة تسير في ناحية أخرى لأن في هذا امتحاناً للجماعة لشكل ما ولأن الجماعات المنظمة تحصر على أن لا تمتحن بحال من الأحوال.

ثم تجمع على نوع الحكومة أيضاً وهذا أمر مهم لا تغفله جماعة منظمة ولا يهم نوع هذه الحكومة ما دام الأفراد قد قبلوها وما داموا قد شعروا أنها أصحح حكومة لهم وهذه الظاهرة هي أهم المميزات للجماعة لأن الأغراض والوسائل تتغير من حين إلى حين ومن زمن إلى آخر وتتغير الأحوال والظروف وإنما شيء واحد لا يتغير وهو أن للجماعات المنظمة نوعاً من الحكومة يخشى الفرد بأسها ويعمل بحسابها لأنها تستمد قوتها من الرأي العام ومن ميل هذا الرأي العام إلى النظام وإلى السير بحسب القوانين الموضوعية.

ونجد أن الشعوب الراقية المتمدينة تعيش دائماً أبدأً في جماعات صغيرة فالصبيان جماعات وللبنات جماعات وللسيدات جماعات والرجال جماعات وكل هذه الجماعات تنظم لها حكومات معينة تسير بهذه الجماعات دون أن تتوقف عن السير ودون أن يعيث الأفراد بها أو بالرأي العام فيها أو بحكوماتها فتتجهت وينتثر عقدها ويصبح الأمر فيها فوضى بالطبع يشعر الفرد في هذه الجماعات بكامل حرته يبدى رأيه كيف يشاء في أغراض الجماعة ووسائلها ونوع الحكومة فيها وإنما ما يخشاه وما يعمل له حسابه هو العيث بها أو العمل على تفككها ونثر عقدها أما إذا شعر الفرد يوماً ما بأن مزاجه لا

يتفق ومزاج الجماعة لسبب من الأسباب فهو في حل من البقاء فيها ويستطيع أن يتركها إلى غيرها ولكنه يخضع لها ويسمى حسابها ما دام باقيا فيها وإذا تركها إلى غيرها يفعل مثلما فعل في الجماعة الأولى أي يقبل أغراض هذه ووسائلها ويخضع للرأي العام فيها ويحترم حكومتها كل الاحترام .

وتنظيم أمة أو شعب في جماعات صغيرة لها أغراضها ووسائلها وحكوماتها من ألزم الأمور لبنيان الشعب وتكوين الأمة ونضوجها من جميع الوجوه له أثره البالغ في السياسة العامة للدولة وفي حياة الشعب الاجتماعية والاقتصادية والصحية والأخلاقية ثم هو الحجر الأساسي في غرس الوطنية والشعور بالقومية في الأفراد فالأمة التي لا ينظم أفرادها في جماعات صغيرة تنضم منظم أفرادها تكون عبارة عن مجموعة من الأفراد أو قطيع من الأدميين لا تربطهم ببعضهم روابط عدا وروابط الرحم والحوار والعمل وهذه جميعها من أضيق الروابط حدودا وهي أدعى إلى تفكيك الوحدة القومية منها إلى بنيانها واكتمال أسبابها .

ولست هذه الظاهرة غريزة فطرية ليس من طبيعة الفسرد أن ينظم الجماعات وحكوماتها أو ينضم إليها وتخضع للرأي العام فيها . حقا أن الطبيعة حينئذ بغريزة اجتماعية هي الميل الفطري للناس والشعور بالحاجة إليهم والوجود بينهم وأن العزلة والانقطاع مرض نفسياني وليس حاجة فطرية عندنا وإنما التنظيم الاجتماعي والسعي لتحقيق أغراض الجماعات والخضوع للرأي العام فيها كل هذه أشياء تهبها التربية في نفوس الأفسراد ولا تتم إلا إذا قصد إليها قادة الأمة والمفكرون وفيها ومن إليهم ممن يبدؤهم أقدار الشعوب هذا منهج يوضع وخطة يفكر فيها عن دراية وقصد ولغاية اجتماعية يرمى إليها من يضع الخطة والمنهج أما إذا تركت الأمور تسير في مجراها العادي الطبيعي دون توجيه فالنتيجة لذلك أن يحقق الفرد غرائزه الطبيعية دون رابط أو ضابط لهذه الغرائز .

ولا نظن أن مجهودات المصلحين فيما تجدي أو تأتي بشمرة ما إذا ما وجهت إلى الكبار البالغين من الشعب المصري يخيل إلينا أنه لا فائدة من المحاولات الكثيرة التي نشهر بها الآن في المحيط المصري لأنها مقصورة في الواقع على الجيل الراهن الذي يطالع بأعباء الحياة الاجتماعية القائمة الآن في مصر لأننا تقدمنا في السن وتكونت فينا العادات والأمزجة والميول التي لا يمكننا التخلص منها بسهولة أو القضاء عليها وإزالتها من نفوسنا والبدء بحياة جديدة لم نهدها واستنباط أمزجة وعادات وميول لا عهد لنا بها لا يمكن أن نمنع التدخين من مصر مثلا ونقضى على هذه العادة في الجيل الحالي وكل مجهود في هذه الناحية مجهود ضائع ذلك لأن الفرد البالغ تسيره بضعة من العادات ركن إليها واستسلم ورضيت نفسه عنها فاخذت توجهه من لحظة إلى أخرى في حياته العادية فترك زمام نفسه إليها وفرغ هو إلى شؤونه الأخرى .

أما إذا أرادت الأمة تنظيما للجماعات فيها إذا أرادت خلق هذا الجو الاجتماعي الذي ينهض بالقومية والوطنية فينا والذي يستطيع أن يعيننا على التخلص من النوائب الاجتماعية والنفسية الكثيرة فيحسن بأولى الأمر فينا أن يغفلوا هذا الجيل الحالي من حسابهم كل الاغفال ويوجهوا كل مجهوداتهم إلى الأطفال — البنات والصبيان — أولئك الذين لا يسرون في الحياة بمقتضى مجموعة من العادات تمكنت من نفوسهم فلا يهودون قادرين على اختيار مناهج الحياة هؤلاء مقبلون على الدنيا والحياة باستعدادات فطرية لا اختيار وتيرة الحياة ومنهجها صفحات نفوسهم يمضاء كلوحسة التصور قابلة للمنهج الذي يختار لها وينطبع عليها قابلون للتربية والتوجيه فيستطاع تغير نماذج حياتهم إلى أن تصبح مغايرة لما نحن عليه الآن كشعب وكأمة .

يخيل إلينا أنه من المستطاع استنباط المنهج ووضع الخطة بحيث نخرج

جيلاً من المصريين اكتفاً واقدر على الحياة القومية من الجيل الخالي جيلاً خالياً من الشوائب التي يشكو منها الآن يخيل لنا أننا نستطيع أن نقضى على كثير من العناصر المفسدة في حياة الأفسراد ونرعى العناصر النافعة ونتمهدها إلى أن تشيع في الجو الاجتماعي وتصبح هي البيئة المصرية التي يعيش فيها الناس ويسعون إلى أرزاقهم وهذا بطلب شيتين يتطلب أولاً أن الشعب يقتنع بوجهة النظر هذه ويؤمن بأن تنظيم حياة الأطفال أمر ضروري للحياة الاجتماعية لا يمكن أن تصلح من دونه وثانياً يتطلب منه أن يضع خطة لمدة طويلة من الزمن يكون من نتيجتها تنظيم حياة الصبيان ثم يوالى العمل باستمرار إلى أن يصل إلى هذه الغاية .

وتتميز جماعات الأطفال من جماعات الكبار بشيء مهم تنفرد به دون تلك وهذا هو وجود القادة المدربين ذوي المرات الطويل والذين لهم من الثقافة الواسعة والدراسة الشاملة لعلوم الاجتماع والنفس وعلم النفس الاجتماعي قسط وافر يمينهم على تحديد الأغراض التي يسعون اليها ، واختيار السبل القويمية التي تؤدي إلى هذه الأغراض ، وجود هؤلاء ضروري جداً لتنظيم حياة الصبيان في هذا البلد أو في سواه .

هذا الضرب من التنظيم لحياة الجماعات غير موجود في بلادنا بالمعنى المتقدم إلا في القليل النادر الذي لا يقاس عليه ، ثم يكاد لا يكون موجوداً على الإطلاق في حياة أطفال الشعب ولا نعلم إلا بوجود بضعة من الجماعات القليلة التي أخذت في تنظيمها جماعة من المشتغلين بالخدمة الاجتماعية ( أمثال محلات الرواد ومبرات التعاون ونادي كوبري الليمون ) ومجموع ما تستخدم هذه الهيئات من الصبيان لا يصل بحال إلى الألف صبي أما مئات الألوف من الصبيان فقد تركوا وشأنهم دون تنظيم لنشاطهم أو حياتهم من جميع الوجوه تركوا للحجارة وللشارع وللصدفة تعمل منهم رجالاً كيفما انفق لا يصلحون لبناء أمة أو شعب متماسك منظم مرتبط كل الارتباط .

لا تنظيم ولا شبه تنظيم لحياة الأطفال عندنا ، فإذا كانت النتيجة لهذا  
سأشى الخلال الاجتماعية التي شاهدناها ولسناها في حياة هؤلاء ، وما أثر  
هذه الحالة في حياة الافراد الأخلاقية والنفسية والاجتماعية ، هل كان  
من شأنها أن تطبعم بطابع معين واضح يراه الباحث ويستطيع أن يتميزه  
من العناصر الأخلاقية الاخرى ، وبعبارة أخرى ما هي نتيجة دراسة  
جماعتنا في هذا الباب .

وجدنا الفوضى ضاربة أطنابها بينهم ، وهذه ظاهرة لا تحتاج إلى درس  
وبحث . وتكوين جماعات تقصر جهودها على الدرس والبحث فهي واضحة  
يأسسها الناس في كل مكان ، ويخطيء من يظن أن الفوضى ضرب من  
الحرية الفردية امتدت واتسعت ونمت إلى أن أصبح لا يحدها شيء ، يخطيء  
من يظن أنها تمت للحرية أو معنى الحرية بشيء فالحرية الفردية والاجتماعية  
هي نوع من التوازن بين الفرائض والفرعات وهي تنظيم للفرائض والفرعات بحيث  
يترك المجال لكل واحدة منها على حدة لتنمو وتحقق الغاية منها بشرط أن لا  
يظفي بعضها على بعض فتفسد الواحدة منها عمل الأخرى ، فالفرد الذي  
يجد المجال متسهماً لتنمية أعضائه بدنه كل على حدة ولتحقيق غرائزه ونوازعه  
النفسية كل فيما تسهي إليه يكون نظاماً عضوياً سلباً مترن الحياة صحيح  
البدن والنفس وبعبارة أخرى يصبح كأننا حرراً ، وحرية متوقفة على  
هذا التوازن بين أعضاء جسمه عضواً عضواً ونوازع نفسه نازعة ، أما  
إذا اقلت زمام أحد أعضائه أو نوازعه فاخذ ينمو دون التقييد بحد من  
الحدود فقد يفقد الانسان كله توازنه وبالتالي يفقد حرية ويصبح الأمر  
فهيمة فوضى ، فلو تضخم قلب إنسان ما إلى أن أصبح في حجم قلب الفيل مثلاً  
لاخل هذا بتوازنه وأفقده حرية العمل والنشاط وقضى على قدرته على  
الحياة والعيش .

فالفوضى في الجماعات هي فقدان التوازن بين أفرادها ، واختلال التوازن  
بمضيغ على الفرد فرصة النمو في الحدود النفسية والاجتماعية المعقولة ، وهو

يسلبه الحرية الضرورية لنمو شخصيته ، وأطفالنا يعيشون في فوضى لا ضابط لهم ، وحياتهم الاجتماعية منككة ، يجتمعون معاً فقط لأن غرائزهم تدفعهم إلى البحث عن النوع الانساني وسلامته والاتصال به شأنهم في هذا شأن القطعان يسمى اليها الفرد من نوعها بدافع غرائزه ويرضى بالاتصال بها والوجود بينها ويكتفى بهذا دون سواه .

بالطبع لا يفهم أطفالنا معنى الحرية فهي عندهم الانطلاق من كل قيد اجتماعي والاستسلام إلى النوازع التفسية دون إقامة الحدود بين هذه النوازع فالفرد منهم ينشط إذا وجد لديه الدافع النفسي للنشاط ، ويمتنع عنه إذا شعر أن مزاجه منحرف عن النشاط ، ينظر للجماعة كلها على أنها وسيلة من وسائل إرضاء نفسه لا غير ويقبل عليها لا على أنه وحدة فيها أو جزء من أجزاءها يخدم أغراضها ويعينها على بلوغ تلك الأغراض وإنما على أنه كائن مستقل كل الاستقلال عنها ، لا يعني إلا بما يحول في نفسه من الانفعالات والمشاعر ، وهذا معنى الحرية عنده ، شأنه في هذا شأن السرطان ينمو في الجسم مستقلا عن الجسم ويسير في اتجاه يغير اتجاه خلايا الجسم الأخرى ، ذلك لأن لا علاقة له بالجسم ولا شأن له به إلا فيما يتصل بالغذاء الذي يتناوله منه على حساب باقي الخلايا جميعا وعلى حساب الأعضاء الحيوية في البدن .

وشيوع الفوضى بين أطفالنا نتج عنه بضمه خلال اجتماعية قبيحة لا بد وأن تؤثر في حياتنا القومية وتصيبها بكثير من العلل والادواء سوف يضئ الجيل القادم نفسه في التفكير في الخلاص منها ، وسوف يضطر مثلنا إلى تأجيل الإصلاح إلى جيل غيره وإلى زمن غير زمنه .

من هذه العلل الاستخفاف بالجماعة أيا كانت وإغفالها من حساب الفرد عند كل حساب ، ليس للجماعة عند الصبي معنى وليس لها وجود ككائن حتى له رغباته وميوله ومزاجه وله أغراضه التي يسعى إلى تحقيقها ، لا

قيسة للرأي العام لديه وإنما القيمة والقدر الذي يعمل له حساب هو رأي الفرد القوي أو الذي يتظاهر بالقوي ويستطيع أن يخدع الناس عن نفسه ، فما دام الصبي بمنجاة من هذا الغرض ومن أمثاله فلا عليه من رأي عام أو ما أشبهه ، هذا لا وجود له ولا خطر منه ، لا تجد صبياً يهني بفرض اجتماعي أو بفرض القائدة منه تعود على جماعة بذاتها سواء أكانت هذه الجماعة أمامة يحسبها ويلبسها أو كانت بعيدة عنه .

والجماعة نفسها لا تحس لنفسها وجوداً وبالتالي لا حول لها ولا طول بل يحس الأفراد فيها أنهم قطيع وأيس للقطيع شخصية معنوية وإنما هو مكون من أفراد مستقلين كل منهم يسير على هواه مادام لا يصطدم بفرد آخر يمنعه عن تحقيق أغراضه ، وبعبارة أخرى لا تعرف الجماعة أنها جماعة ، لا يحس الأفراد وهم مجتمعون أنهم يختلفون وهم منفردون ، لا يدخل في حسابهم أنه باجتماعهم في مكان ما وانرض ما قد أصبحوا شيئاً أكثر من كونهم عدداً من الناس ، قد أصبحوا كائناً حياً كجسم الانسان ، للجماعة كجماعة إرادة ونزوع تغاير إرادة الأفراد ونزوعهم وأن الأفراد ليسوا أفراداً لحسب وإنما أعضاء حية في الجسم الاجتماعي .

لا تشعر الجماعة بشيء من هذا ولا يشعر به الأفراد أيضاً فكانت النتيجة من ذلك أن الجماعة بمعناها المفهوم عندنا لا وجود لها بين الصبيان فكثيراً ما نجد عدداً من الأولاد يلعبون مثلاً وقد ملك اللعب كل مشاعرهم وهم يلتذونه ويقبلون عليه وإذا بصبي يحضر إلى مكان اللعب ثم يدخل الملعب ويأخذ أداة اللعب من الأولاد ويصر على أن لا يعطيها لهم إلا إذا أفسحوا له مكاناً يلعب حتى ولو بأخراج طفل آخر من الملعب ، يتبين على الصبيان في هذه الحالة مشاعر مختلفة لا يخطئها من يرقبهم عن كثب ويدقق النظر فبعض الأفراد يخافون هذا الصبي فينكمشون ويتركون المجال لغيرهم ليفعلوا ما يقدرون أن يفعلوه دون تدخل منهم ودون عون ينتظرونه على أيديهم ، وبعض الأفراد يشعرون بالاهانة الشخصية الموجهة لهم كإفراد ، فنجد

فرداً منهم يتازع هذا العصبى الأمر ويهاجمه بالألفاظ إذا كان غير واثق من نفسه كل الوثوق أو إذا كان يظن أنه لا مجال له مع ذلك فى نضال بدنى وقد تجد صبياً آخر لا يستنكف من النضال البدنى فيصنع شيئاً فى الموضوع وبالاختصار تجد أن كل الانفعالات فى هذا الحادث إنفعالات فردية لا أثر لمشاعر الجماعة فيها لأن الجماعة تحللت إلى عناصرها الأولية وأصبحت مجموعة من الأفراد المستقلين .

ونشاهد هذه الظاهرة فى حياتنا العامة وتشاهدها عند نافذة محطة السكة الحديدية أو فى دور السينما أو فى الشارع فالفرد فى كل هذه التصرفات يشعر أنه يتعامل مع أفراد لا غير ، أما الجماعة أو الشعب أو الناس فلا اعتبار لهم عنده ، يسير الفرد فى شوارع القاهرة بعد منتصف الليل يفتى ويزعج الناس أو الجماعة بصوته ويقلق مناصهم ذلك لانعدام الاحساس والشعور بالجماعة فيه وهو لا يحس إلا بالأفراد ، ما دام لم يقصد له فرد بذاته فى نوازع نفسه ما يشعره بأن هنالك جماعة يعمل حسابها .

ولانعدام الشعور بالجماعة فىنا يرجع كثير من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية والبدنية ، فالمرأة التى تلتقى بالقاذورات فى الشوارع تفعل هذا لأنها تريد إنقاذ منزلها من هذه القاذورات فقط لا غير وما دامت لم ترمها أمام منزل بذاته تخشى الساكنين فيه فلا بأس عليها ، أما الناس عامة أو الجماعة التى تقطن الشارع والسائرون فى الشارع هؤلاء كجماعة لا تقيم لهم وزناً ولا تعمل لهم حساباً ولا يمكن أن تجد فى القاهرة من أولها لآخرها سكان شارع مثلاً قد أجمعوا أمرهم على أنهم جماعة أو كائن اجتماعى ، لا نظن أنك واجد مثل هؤلاء قد انتظموا فيما بينهم وقسموا الشارع إلى أجزاء وعهدوا إلى كل منزل الاهتمام بالجزء الذى يخصه وعنوا بتنظيفه باستمرار هذا شئ لم تألفه نفوسنا ولم تمارسه ، ولم تكن لنا الثقافة والتربية التى تحملنا على المران عليه .

وأطفالنا محسرومون من الفرص لتربيتهم وتثقيفهم ومراعاتهم على هئذ  
الخطوة الاجتماعية ، وهم على حالهم الراهنة لا يصلحون لتكوين الجماعات  
المنظمة وسوف يعجزون عن هذا إذا لم يعمل الشعب على توفير العناصر  
اللازمة لهم في بيئتهم حتى تتغير نظراتهم وميولهم نحو الجماعة .

والجماعات المنظمة في أي دولة من الدول أو شعب من الشعوب هي  
أساس القومية والوطنية فيها .

الولاء انفعال نفسياتي يتولد من غريزة حب النفس ومن الفرائض الاجتماعية  
كحب الاتصال بالغير والاقبال على معاشرتهم ، هاتان الغريزتان تتفاعلان  
في الفرد مترننين متكافئتين فإذا استمرتتا في تفاعلها وفي توازنهما زمتا طويلا  
طبيعتا نفسية الفرد بطابع خاص واعطيتاها لونا اجتماعياً ونفسياً معيناً هو  
الولاء الذي يدفع بالفرد في كثير من الأحيان إلى تحمل صنوف المشقات  
في سبيل الغير ممن هم موضوع هذا الولاء . والفرد يدرج في حياته على هذه  
الخصلة وينصرف بعقضى هذا النزاع النفسي ما دام يمكن تجنب  
النزاع بين هاتين الغريزتين وما دام المجال والبيئة لا تعملان على إيجاد التنافر  
بينهما بحيث يصبح الفرد لا يستجيب للدافع الأثرة وحب النفس وهي  
الغريزة الأقوي والأقدر على الطفيان ، ما دامت البيئة لا تعمل على إيجاد  
هذا الشقاق بينهما يتطور الولاء في نفسه بحيث يصبح من أجل الحصول  
الانسانية وأنفعها للجماعة والأمة والشعب .

يبدأ الولاء في الطفل في السنين الأولى من حياته وتكون أمه موضوع  
ولائه في أول الأمر ثم أبوه وأخوته وأقرباؤه ومن يمتون إليه بصلة من  
الصلوات ، يبدأ يحب نفسه وحب ندي أمه الذي يعطيه الطعام ثم يتدرج  
من هذا إلى شخص أمه فيكون صلوات نفسية بينه وبينها يحبها حباً في نفسه  
وحباً فيها هي ، وتتفاعل هذين العاملين يتكون في نفسه عامل الولاء لها  
بحيث يستطيع أن يضحي بالشيء القليل مرضاة لها واستجاباً لمنفعتها ،

وهكذا الحال مع باقي أفراد العائلة متفاوت قليل يسيل أو كثير بين هؤلاء الأفراد تبعاً للتراع بين غريزتي النفس والاجتماع الذي يشير به أفراد العائلة في نفسه ، ولنفرض جدلاً أن الحياة العائلية كان من شأنها أن بذرت بذور الولاء في الطفل وتهدها وقضت على العناصر المضرة بها نخرج الطفل سليماً إلى الجماعة الأخرى .

يخرج طفلاً من الجماعة الصغيرة المحدودة وهي العائلة إلى جماعة أكبر منها وأكثر عدداً وتمايلاً في النزعات يصبح الطفل صديماً وعضواً في جماعاته الصديان ، ولأنه جديد العهد بهذه الحياة الاجتماعية ولأنه حديث الاتصال بهذه الشخصيات الجديدة يبدأ حيث بدأ في عائلته بالنظر إليها من وجهة نظره هو من حيث الفائدة التي تعود عليه شخصياً من هذا الاتصال وبالنتج الذاتي الذي يلحقه منها ، وبعبارة أخرى يبدأ بنفسه أولاً وقبل كل شيء يستجيب لغريزة حب النفس أول ما يستجيب ، فإذا تصادمت في نفسه الغرائز والدوافع تراه مستعداً لأن يقبل طفليان غريزة الأثرة على الغريزة الأخرى ، أما إذا كانت الجماعة منظمة لها قواعد ونظم تحفظ التوازن بين هذه النوازع ولها قيادة رشيدة حكيمة ترسم الخطط لهذا التوازن فتحافظ على مصالح الفرد وتهدهد روح الجماعة وتقويها . يتعاون هذان النزاعان في نفس الطفل ويكونان عاطفة الولاء للجماعة فيصبح الطفل محباً لها ينزع إلى خيرها ومصالحتها مضمحياً في سبيل ذلك ببعض مصالحه الصغيرة .

تستغرق هذه الفترة من حياة الصبي ما يقرب من عشر سنين أي ما بين سن العاشرة والعشرين مثلاً ، وهذه فترة من الطفولة طويلة تترك آثارها المستديعة في الصبي . ولنفرض أن الصبي قضى هذه الفترة في جماعة منظمة كالتي وصفناها ، إذا حدث هذا امتد أفق الولاء عند الصبي واتسع إلى أن يصبح شبل الجماعات التي يعيش بينها وينشط ، يصبح غيوراً على مصالحتها ومنفعتها بحيث يقاوم كل ما يضرها أو يعطل نشاطها أو يفسد أغراضها ، ويصبح للناس عنده معنى آخر غير أنهم عدد من الأفراد ، يصبح للجماعة

معنى غير أنها قطيع من الأدميين ، تصبح نظاماً حياً يفيد منه الفرد ويحصل منه على منافع نفسية ومادية ثم يشعر أن خير الجماعة متوقف على مجهوداته الشخصية إلى حد كبير ويشعر من نفسه الحافز على بذل هذه المجهودات .  
يصبح الصبي شاباً ويدخل الجماعة الكبرى ، ينضم إلى صفوف الشعب ويصير عضواً في كائن حي هو الأمة من أولها إلى آخرها ، يخرج وهو متمرن على الحياة الاجتماعية شاعراً بأثر الجماعة في حياته وأنه لا غنى له عنها بحال من الأحوال فمن طريقها يجد الأمن والطمأنينة وفيها يجد المتعة والقسمة وبالتعاون معها يجد حاجاته المادية من مأكل وملبس وغير ذلك صحة بدنه متوقفة على خلوها من الأمراض ، تتوافر له اللذة في الحياة تبعاً لتوافرها لهذه الجماعة الكبرى ، ثم ينسحب بحب وعاطفة نحوها وينزع في تصرفاته عن هذه العاطفة وهي الولاء .

والوطنية هي عبارة عن اعزاز الفرد بقومه وبشعبه دون باقي الشعوب والاهتمام لكل ما من شأنه أن يعود بالنفع على المجموع والتصرف في الحياة بمقتضى هذا الحافز النفسى ، فإذا امت بقومه مصيبة يسارع إلى العمل مع العاملين على إزالتها أو التخفيف من أثرها ، يعين الشعب في المشروعات التي ترى إلى إصلاح الأحوال الصحية والاجتماعية والاقتصادية وبعبارة أخرى يفهم معنى الشعب والجماعة والوطن يشعر أنه لا يواجه الحياة مفرداً مقطوع الصلة بغيره وإنما يواجهها على أنه خلية في جسم كبير هو الأمة بحالها وأن ما يصيب الناس يصيبه ان خيراً نخبيراً وان شراً فشر .

كل هذه الخطوات لازمة لتنشئة الصبيان على حياة اجتماعية نافعة يلزمه حياة منزلية صالحة في سن الطفولة وحياة اجتماعية صالحة في سن الجماعات الصغيرة وهي ما بين العاشرة والعشرين تقريبا ، ويخيل إلينا أنه إذا توافرت له البيئة الصالحة في هاتين المرحلتين أصبح هو عاملاً نافعا معها في المرحلة التالية وهي مرحلة الرجولة وأصبح صالحاً لتكوين الجماعات للتأسيك القوية .

ونظن أننا في غنى عن القول أن أطفال الشعب تعوزهم هذه الخصال جميعاً فلا هم ينتظمون في جماعات ولا ولاء لهم لجماعات ولا هم يفقهون شيئاً عن القومية أو الوطن والوطنية ، وما هم إلا قطيع من صغار الآدميين يتزع كل منهم عن دوافع الأثرة وحب النفس لا غير كل منهم معنى بنفسه ويجنب نفسه ما يضر أو يتعب أو ينفص العيش والسلام .

والحكومة عند هذا الصبي عبارة عن نوع من الاغتصاب هي استقواء فرد أو جماعة لأنفسهم وشهورهم بالقدرة على الاغتصاب فيجتمعون للممارسة هذه السلطة دون سبب مفهوم لديه وتمثل الحكومة المصرية لديه رجال البوليس يفتنون بين الناس لمضايقة الناس وكف أيديهم عن أن تمتد لما هموا نفوسهم ، وجود الحكومة نعمة على الناس لأن تصرفاتها وتصرفات رجالها غير مفهومة أولاً ثم انها لا تتصرف بطريقة مفهومة الا متى انقضت على فرد منهم وألقت به في السجون والمعتقلات ، في هذه الحالة يفهم هذه التصرفات لانها تمسه في شخصه أو في أقرب الناس إليه ولا يستطيع أحد أن يمنع الحكومة مما تريد لانها قوية ولها من رجال البوليس طائفة لا تحصر لها تفعل بهم ما تريد وينفذون لها إرادتها وشأن القوي في هذه الدنيا أن يتبع هواه دون رادع أو وازع .

لا ننكر أنه يطحن اليها في بعض الأوقات القليلة وذلك عندما تنصفه من خصم قوي أو من رجل استعبده بأن تقبض على هذا الخصم وتودعه السجن ، في هذه الحالة يري الصبي للحكومة عملاً نافعا وقد يخطر له انها قد يمكن لها أن تؤدي بعض النفع للناس ولكن هذا في القليل النادر والنادر لا يقاس عليه .

ياخذ هذا الطفل معنى الحكومة في المنزل عن والده تتمثل فيه السلطة والقوة والحكومة أو امره لا مرد لها ، نواهيته نافذة دون بحث أو كلام سواء أكانت مفهومة لدى الطفل أم غير مفهومة وليس من شأن السلطة

أن تتفاهم أو تشرح الأسباب لتصرفاتها أو تحاول أن تبررها وتبين ضرورتها للماتلة وللطفل نفسه ، إذ لا داعى عندها أن تسهي لكسب تعاون الطفل القلبي يكفيها منه أن يطيع ويفعل ما أمر به ترضى منه بالتصرف الخارجي الواقعي وتكتفى به أما ما يحدث في داخل نفسه عجزه عن فهم العلة في هذه الأوامر أو تبرمه بها وعدم ارتياحه اليها فهذا شيء لا يعنينا ولا تهتم له .

ثم يخرج الطفل إلى الشارع صبياً ينضم إلى طائفة مثله من الصبيان تتكون منهم جماعات أو قطعان هنا وهناك يلعبون وينشطون مما فيجد الجو في هذه الحياة لا يختلف عنه في المنزل ، يجد نوعاً من التسلط والحكم أو نوعاً آخر من الحكومة ويجد أنها هي أيضاً مبنية على هوى الفرد أو بعض الأفراد ، يأمرون فيما تقرر باقي الصبيان وينهون فيمنتهون ، والدافع لهذه الأوامر والنواهي هو الهوى الشخصي والشهوة النفسية دون غيرها ، ويجد أن في يد هؤلاء من القوة ما يستطيعون به إخضاع الأفراد قوة واقتداراً ، وهم يفعلون هذا في كل لحظة من اللحظات ثم لا يجد ضابطاً لهذه الشهوات ، لا قاعدة لها تسير عليه ولا غاية مفهومة تربي اليها من خدمة أو نفع للجماعة .

أما الحكومة كسلطة تحافظ على الحقوق والواجبات أو كهيئة تحفظ التوازن بين الجماعة وتنظم جهود الأفراد في خدمة الأفراد الآخرين ورعاية مصالحهم والسير على مصلحة الجماعة كلها تجنبها الأغلط والأخطاء التي قد تضر بها وتحملها على النشاط الذي قد ينفعها ويعود عليها بالفائدة ، أما الحكومة التي تميز الأغراض من النشاط وترسم له الخطط والوسائل بحيث تؤدي هذه جميعاً إلى سعادة الفرد واستمتاعه بالحياة واستيخلاف اللذة والانبساط منها فهذا شيء بعيد عن دائرة اختبار الصبي ، هذه الحكومة لم يكن له بها عهد ولم يصادفها في حياته هذا النوع من التنظيم الاجتماعي بعيد عن الدنيا التي يعيش فيها .

من هذا يخرج صبياً على خلاف مع الحكومة ربما بها لا يفهم لها معنى

ولا يتذوق لها طعمها ، فهو يعيش في فوضى في المنزل كالفعل وفي الشارع كصبي  
فتشيع الفوضى في نفسه ويفقد حرية النشاط والتصرف والنمو .

والفوضى الضاربة أطنابها بين أطفال الشعب سرجهما إلى عدم وجود  
الحكومة الصالحة بينهم ، وهم في حياتهم ونشاطهم يحتاجون إلى حكومة  
أيضا مثل باقي الجماعات والشعوب . فلهم نشاط ولهم مصالح ولهم غرائز  
وميوول وهوى وشهوات وكل هذه تحتاج إلى التنظيم والتوجيه بحيث لا  
تتعارض وتتطاحن فيما بينها فتقضي على العلاقات السلمية بين الصبيان وتقضي  
على التوازن بين الدوافع والنوازع في نفس الصبي الواحد .

مرجع الفوضى إلى هذا وإلى انهدام القوانين بين جماعات الصبيان ولا  
وجود للقانون ولا عمل له إن وجد بينهم وهم على حالهم الراهنة .

ترددهم الحياة بالأغراض والغايات والتصرفات والدوافع والذرات والهوى  
والشهوات ، تضطرب فيها كل هذه القوى وتتفاعل يعطل بعضها بعضا أو  
يهين بعضها بعضا ثم تضطرب كل هذه القوى في نفوس الأفراد فرداً فرداً  
وتدفع بهم إلى سلوك سبل ملتوية معقدة يقطع بعضها بعضا أشبه بخيوط  
المنكبوت الغير المستوية الذسيج ، يسرون إلى شئونهم كما تسير مئات من  
السيارات في ميدان كبير دون تنظيم أو ترتيب يسير كل منها في اتجاه  
تبعاً لهواها وتندفع كل منها إلى حيث يجب أن لا تندفع والنتيجة لكل  
هذا أنها تتوقف عن السير وتبطل حركاتها تتوقف الحياة وتعطل الأغراض

مرجع هذا إلى انهدام القانون وشيوع الفوضى الذي قضى على حرية  
السير والسعي إلى الغايات ، فالقانون أبو الحريات وموجدتها ولا حرية من  
غير قانون وحكومة تسير على تنفيذ القانون ومن مقاييس الحكومات  
الرشيدة سهرها على النظام وقدرتها على تدعيمه وحمل الناس على احترامه  
ومن مقاييس المدنية في الشعوب حبها للنظام ومحافظة عليها وحمل الأفراد  
على اتباعه ، لا ننكر أنك تجهد في جميع الشعوب أناسا لا هم لهم إلا العيب

بالقانون والنظام شهوات نفوسهم ولمصلحة عاجلة يريدون تحقيقها، وشأن هؤلاء كشأن السرطان في الجسم يعميل على شيوع الفوضى فيه وتعميم الفساد بحيث يزول عنه التماسك وتزول الوحدة فيه وهي حجر الزاوية في حياة الفرد والجماعة.

يوضع القانون عادة لمصلحة الجماعة كجماعة وللمصلحة اغلبية افراد الشعب العظيم، وهو الاداة في سعادتهم واستمتاعهم بلذات الحياة، ويخرج إلى حيز الوجود لشهورهم بضرورته للحياة والمعيش ولولا هذا الشهرور الحاجة اليه لما وضع أو خرج الى حيز الوجود فلاصل في القوانين حاجة الناس وضرورات الحياة بالطبع لا ينخلو الامر من انه يكف يد بعض الناس عن تصرفات يمارسونها وشهوات يريدون تحقيقها ولا يستغرب من هؤلاء الفكرة له والتحايل عليه، ولكل قانون طائفة من الناس تبرم به وتتنكر له وتود وتستطيع القضاء عليه وعلى آثاره، ولا بأس من أن هذه الطائفة بالذات رضي عن قانون آخر تكون قد برمت به طائفة اخرى والضابط هؤلاء الناس انما هو الشهوة والهوى، ولكن الشعوب الراقية لا تترك مثل هؤلاء يعيشون بالقوانين ماشاءت لهم اهو اؤهم وشهواتهم فتعمل الشعوب من نفسها على ارغام مثل هؤلاء، واخضاعهم لقوانين حكومتها وتساعدوا كل المساعدة في هذا السبيل.

وجدنا أن اطفال الشعب لا يفهمون معنى القانون، ولا يشعرون بضرورته لتنظيم الحرية والنشاط والحياة، لا معنى له عندهم في حياة الجماعات، هو تقييد دون فائدة أو غرض وما دام الفرد لا يستطيع أن يحصل منه على فائدة شخصية ذاتية قريبة منه ما دام لا يكف يد صبي بالذات يعبث بحرية هذا الفرد أو ما دام لا يأخذ مما بيد الناس ليعطيه لصاحبه فهو عبء لا معنى له وحمل يجب ازالته وراحة الناس منه.

يخرج العصبى إلى البيئة المصرية وهو بهذه الروح من التفكير للقانون وللحكومة .

ينتج الشعور بالواجب من شعور الفرد بالجماعة ومن الولاء لها فتوجد الجماعة أولاً ثم تنظم لها حياتها وتنصب حكومتها وتوضع لها القوانين التي تقيم الحدود بين الافراد ، وينتج الولاء للجماعة من هذه كلها ومن نشاط الفرد معها واستمتاعه بحريته وحياته ونشاطه ثم بعد هذا ينبثق في نفسه الشعور بالواجب عليه لها ويظهر ثم يقوى ويتوسع إلى أن يشعر في نفسه شعوراً قوياً بالتزام نوع معين من التصرفات التي تعود على الجماعة بالخير والنفع ، تنفوس في نفسه دوافع قوية ملحة تجعله لا يملك إلا أن يسهر على مصالح هذه الجماعة .

والشعور بالواجب حالة نفسية عامة ، أو جو وبيئة نفسانية يهيش فيها الفرد وينشط ، وهذا الجو هو الذي يرسم للفرد خطة السمر في الظروف المتعددة والأحوال المتباينة ويجعله ينزع في كل حالة بذاتها منهجاً خاصاً يتفق مع مصلحة الجماعة فيؤدى في كل حالة تعرض له ما يجب عليه كواطن صالح ويرى أن مصلحته الخاصة في نهاية الأمر ومصلحته على العموم وعلى أكبر الفروض وأوسعها تتفق مع مصلحة شعبه وجماعته وإن كانت قد تختلف عنه في بعض التفاصيل ولأنه درج على الحياة الاجتماعية وفهم معنى النظام والقانون والروح الاجتماعية تراه يفعل التفاصيل يرضى أن يضحى ببعض مصالحه الصغيرة في سبيل مصلحته الكبرى التي تتفق ومصلحة الجماعة وخيرها وهذه هي الوطنية بمعناها الصحيح على ما نظن .

وأطفال الشعب كما وجدناهم لا يعرفون معنى الواجب على الإطلاق لا يعرفونه لأن الاسس التي يبنى عليها الشعور بالواجب مهدومة في بيئتهم كما بينا في الصفحات السابقة فهذه الكلمة غير موجودة في قاموس الفاظهم ومعناها لا تستشعره نفوسهم ولا تحس به ولا تفعل بمقتضاه وليس منشأ هذا نقصاً في كفايتهم الشخصية أو استعداداتهم الفطرية وإنما مرجعه الى

العلل الكامنة في بيئتهم وهم أطفال وبيئتهم وهم صبيان وبعبارة أخرى تنقصهم التربية ويعوزهم الماران على هذه الخلة .

ولأن هذا الضرب من التربية والمران ينقصهم ولأنهم لم يخضعوا في تصرفاتهم عن فهم ورضاء وانحسار عن قسر وضيقت وتهور لأنهم لا يعرفون معنى الحكومة والقانون وضرورتها لحياة الجماعات ولأنهم لا يعرفون حياة الجماعات أصلاً تراهم لا يفهمون معنى الملكية وحق الامتلاك يشعرون أن الملكية اغتصاب والقوي من امتلاك وهذا الشيء ملك لفرد ما لأنه استطاع أن يحصل عليه بطريقة من الطرق لا بهم نوعها أو درجتها من الاخلاق والفضائل وإنما المهم فيها أنها أوصلت الفرد إلى ما يطمع في امتلاكه ثم يسلمون بملكية الفرد لشيء ما مادام الفرد قادراً على الدفاع عما يملك وصد الطامعين فيه وبعبارة أخرى ليست الملكية نظاماً أو حالة اجتماعية يجب أن يهتم لها الفرد ويحوظها بالضمانات التي تمكنها من الاستمرار والشيوع بين الجماعات وليس ضياع ما يملك الفرد كارثة اجتماعية بحال من الأحوال ليست شيئاً يدعو الجساعة إلى التفكير والعمل بالوسائل والسبل التي تؤمن الافراد على ما يملكون حباً في شيوع النظام والقانون بين الناس .

الملكية عندهم حالة فردية محضة لا تعنى الا الفرد ، فاذا ظلم الفرد ونزع منه ما يملك فهذه كارثة فردية يقارنها الصبي بنفسه كبعض الاصابات البدنية مثل مرض العين أو الأذن أو الأنف سواء بسواء تهم المصاب دون غيره وقدتهم صديقه أو قريبه أو من يعطف عليه من الصبيان أما الرأي العام والحياة الاجتماعية السلمية والحياة الاجتماعية القويمة التي تتأثر من اغتصاب الأملاك فهذا شيء بعيد عن افهامهم وقد تخرب سيارة كاملة وقد يتعطل صاحبها عن اداء أعماله فتضيع عليه المصالح لأن صبيهاً رأي في السيارة شيئاً يريد امتلاكه بالطرق المتبعة عندهم في الامتلاك يفعل هذا وهو يعلم كل العلم أن هذه القطعة التي افترعها لا تفيد وقد يعلم أنها ضرورية لسير السيارة ونفعتها

ومع ذلك يقدم على هذا العدل دون التفات إلى النتائج الاجتماعية والفردية التي تعود على الناس منه أو قد يحفظهم الصبي مصباح الشارع الذي ينير الطريق للناس والذي يعتبر حقاً وعدلاً ملكاً لهم دون الحكومة أو البلدية قد يفهم هذا لأنه يريد أن يمتلك قطعة معينة من المصباح لشهوة طارئة عنده .

بالطبع ترجع جميع هذه التصرفات إلى عوامل كثيرة منها حب النفس والآثرة ومنها إشباع حاسة المرح فيه ومنها عدم تقديره للجماعة وعدم فهمه لمعنى القانون والنظام الذي يحيط بعملية الجماعات بالضمانات اللازمة ولكن منها أيضاً عدم فهم الصبي لمعنى الملكية الفردية أو الاجتماعية فهما يحصله يتصرف في هذه الشؤون بطريقة غير هذه الطريقة وعلى وضع غير هذا والواقع أن أطفال الشعب لا يؤتمنون على الأملاك بجميع صورها ومظاهرها وهم على حالتهم الراهنة خطر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد وسوف يزداد خطرهم على مر السنين تبعاً لتقدمهم في السن واكتمال قواهم البدنية والعقلية .

حاسة العدل من أشرف الخصال الإنسانية وأروعها ولا نقصد بها إقامة الحقوق وتوزيع الأحكام بين الناس بالقسطاس كل منهم يحصل على ما يجب له حقاً هذا عدل وهو مرغوب محبوب ويجب أن تتوسطه أركانها بين الناس من الأمور العادية أن يحكم الفرد بالعدل بين خصمين إذا لم يكن له هوى أو غرض يجعله يميل إلى جهة ويتحرف عن سبيل العدل وهذا أمر سهل ميسور وقد يفعله الطاغون الغاشقون لا بل يفعله اللصوص وقطاع الطرق كما يفعله الأخلاقيون والقوامون على الفضائل .

لا نقصد إجراء العدل في بعض الحالات وإنما نقصد النزوع إلى العدل والاحساس العميق بقدسيته واتجاه الميول والمزاج إلى الانصاف اتجاهاً يكاد يكون فطرياً ينبعث من أصول النفس العميقة نريد بهذا الاحساس الذي ينصف الخصم ضد النفس لأن الحق بيد الخصم هذا الشعور الذي يدفع

بالفرد لتتكسر لمصلحته وشهوته وما يزيد شره لئلا في الاستجابة لهذه  
الغرائز اجحاف بفرد آخر وبخاصة إذا كانت العلاقة بينهما بعيدة عن  
روح الصداقة والمحبة هذه الحاسة التي تنصف الخصم وتعترف له بالفضل في  
جميع الحالات وفي كل الظروف متى كان للخصم فضل يذكر هذه العظمة  
الإنسانية التي لا تلبى بالاهسواء والشهوات والتي من شأنها أن تدفع عن  
الفرد الحيف والظلم بنفس القوة والعزم التي تدفع بها عن الصديق .

هذه الظاهرة لا توجد في أطفال الشعب ، ولو كان لها أثر في تربيتهم  
ربيتهم لظهرت في ألعابهم وفي نشاطهم المحدود قد كانت تظهر في اعتراف  
المغلوب في اللعب مثلاً للغالب بالأولوية والدراية في اللعبة ، وقد كانت  
تظهر في خلافاتهم وفي قتالهم فيما بينهم أما المغلوب يصر على عدم الاعتراف  
بالفضل للغالب أما وهم لا يتسامحون مع الغالب بل ينسون نجاحه إلى  
الظروف وإلى الفش وكسر القوانين ، أما وهم يصادون كل من ينتصر  
عليهم ويلجأون إلى الشتائم والضرب ليعوضوا عن الغلب الذي أصابهم  
فلا يمكن لنا أن نزع أن بذور العدل تبت في نفوسهم في هذا الطور ، فقد سمع  
الكاتب وهو يكتب هذه الكلمات بأن تلاميذ مدرستين ثانويتين أميريتين  
قد اشتبكوا وتضاربوا وسالت دعاؤهم لأن إحدى المدرستين فازت على  
الأخرى في الملعب الرياضي فعوضوا عن التهنئة والاعتراف بالفضل لأهله  
ضربوهم وجرحوهم وأنكروا عليهم كل فن في اللعب وكل فضل لهم في  
اجادته فغياب هذه الحاسة من أطفال الشعب يجعلهم بعيدين عن كل  
خصومة شريفة والشرف والتزاهة في الخصومة ثمرة من ثمرة الضمير  
العادل المشع بحب العدل وبفكرة العدل .

تنشأ كل هذه الخصال الاجتماعية الحميدة مثل العدل واحترام القانون  
والملكية والواجب من التنظيم الدقيق لحياة جماعات الصبيان : يستطاع  
بث هذه الفضائل فيهم ومرانهم عليها بحيث تصبح جزءاً من كيان

الفرد يزرع استجابة له ويتصرف بتقتضى مبادئه ، يخيل إلينا أنه من أسهل الأمور على الشعب المصري وحكومته ، أن يوالى هذا الجيل الصغير بالتنظيم والتوجيه حتى يتجه إلى الحياة الكاملة الصحيحة .

سرجع كل هذه العيوب في أطفال الشعب إلينا نحن لأننا لم نهمل على توجيه حياتهم ، أما الأطفال أنفسهم فننظن أن عندنا من الوراثة القطرية الكامنة فيهم ما يطمئن الشعب المصري على مستقبله كأمة و كشعب .